شَمْسُ الْمَغِيب

رَأيْـتُ الشَّمْسَ تَغْـــــرُبُ كُـلَّ يَـــــوْمٍ
وَشَمْسُ العُــرْبِ لَمْ تَعْــرِف غُـرُوبَــا !
قِـــلاَعٌ فِي المَعَـــالِـي شـــامِخَـــاتٌ
تَحَـــدَّت فِـي مَسِيـــرَتِهَـــا الخُطُـــوبَـــا
وَنَهْـــــــرٌ فِي اطِـــــــرَادٍ لَمْ تُعَطَّـل
رَوَافِـــدُهُ وَلَـــمْ تَعْـــرِف نُضُـــــوبَـــا
يُسِيءُ الـــدَّهْـــرُ أحْيَـــانـــاً فَيَسْعَى
عَلَى قَـــدَمٍ إلَيْهَـــا كَيْ يَتُـــوبَـــا !
وَتُـــدْمِيهَـــا نَـــوَائِبُـــهُ فَتَلْقَى
لَهَـــا فِي كُـلِ فَـــاجِعَـــةٍ طَبِيبَـــا
مَشَـــاعِـلُ قَـــدْ أضَـــاءَتْ كُلَّ أرْضٍ
وَشَبت فِـي جَهَـــالَتِهَـــا لَهِيبَـــا
مَشَـــوا فِي الأرْضِ يَهْـــدُونَ الحَيَـــارَى
وَضِـــد طُغَـاتِهَـــا اقتَحَمُـــوا الحُـرُوبَـــا
وَرَبٌّ وَاحِـــــدٌ عَبَـــــدُوهُ رَبّـــــاً
وَعَـــادَوا فِيـــهِ مَـنْ عَبَـدُوا الصَّلِيبَـــا

* ● *

سَمَت أخْـــــلاَقُهُمُ نُبْـــــلاً وَعَـــدْلاً
يُضَمخُ ذِكْـــــرُهُ التَّـــــارِيـخَ طِيبَـــا
وَكَـــانُـــوا فِي حَضَـــارَتِهم عُقُـــولاً
بِمَـــا أعْطَتْـــهُ لَمْ تُمِت القُلُـــوبَـــا !
تُحلِـقُ فِـي فَضَـــــــاء العِلْـمِ حَتَّـى
إذَا انْبَهَـــرَتْ تَهَيَّبَـتِ الغُيُـــوبَـــا !
يَحُـجُّ إلَى مَنَـــاهِلِهَـــا ظِمَـــاءٌ
أفَـــادُوا مِن مَعَـــارِفِهَـــا ضُـــرُوبَـــا
وَلَمْ تَعقَـم مَـــوَاهِبُهَـــا وَكَـــانَتْ
مَـــدَىٰ الأجْيَـــالِ مُنْتَجَعـــاً خَصِيبَـــا
ظِـــلاَلُ الضَّـــادِ فِيهَـــا وَارِفَـــاتٌ
تُـــذِيبُ، وَلَيْـسَ تَـــرْضَى أنْ تَـــذُوبَـــا !
تَصُـــونُ كِيَـــانَهَـــا وَتَـــذِبُّ عَنْـــهُ
وَلاَ تُـــؤوِي المُهجَّـنَ وَالغَـــرِيبَـــا
ومَـــا فَتِئَـتْ مَعَـــاجِمُهَـــا تُغَـــذِي
رِيَـــاضَ الفِكْـــرِ لاَتَشْكُـــو لُغُـــوبَـــا
تُسَـــايِـــرُ كُلَّ مُبْتَكَـــرٍ جَـــدِيـــدٍ
بِعُمْـــــرٍ مُسْتَجَـــــدٍ لَـنْ يَشِيبَـــا
إذَا انتَـــزَعَت يَـــدُ الأيَّـــامِ ثَـــوْبـــاً
قَـــدِيمـــاً عَـــوَّضَت عَنْـــهُ قَشِيبَـــا !

يَخَـــافُ لِقَـاءَهَـــا البَـاغِـي وَيَسْعَى
إلَيْهَـــا – مُسْتَغِيثـــاً – إنْ أُصِيبَـــا !
عَـــــرِيـنٌ لاتُغَـــــادِرُهُ أسُـــــودٌ
عَلَى صَهَـــوَاتِهَـا تَجْلُـو الكُـــرُوبَـا

* ● *

وَيَـــا أيَّـــامَ بَغْـــدَادَ الـــــزَّوَاهِي
وَغُصْنُ عُـــرُوبَتِي يَـــزْهُـــو رَطِيبَـــا
تَمُـــدُّ جَنَـاحَهَـا شَـــرْقـاً وَغَـرْبـاً
وَتَبْسُطُـــــهُ شَمَـــالاً أوْ جَنُـــوبَـــا
وَمُلْـكُ عُـــــــــــرُوبَتِـي ظِـلٌّ ظَلِيـلٌ
وَغَيْثٌ يِخْصِـبُ القَفَـــر الجَـــدِيبَـــا
ذَكَـــرْتُـكِ وَالأسَى يُـــدْمِـي فُـــؤَادِي
وَقُـــدْسُ العُـــرْب قَـــدْ أمْسَـى سَلِيبَـا
يُـــوَاجِـــهُ شَعْبُنَـــا فِيـــهِ المَنَـايَـــا
وَيَهْـــــرَعُ لِلشَّهَـــادَةِ مُسْتَجِيبَـــا
وتَـــــرْتَفِعُ الحِجَـــارَةُ مِنْ بَنِيـــهِ
لِتُصْبِحَ فِـي العِـدَى شَبَحـــاً رَهِيبَـا
إذَا مَـــــا أخْطَأت حَجَـــــرَاتُ طِفْـلٍ
وَلَمْ يَـكُ فِي رِمَـــــايَتِـــهِ مُصِيبَـــا

فَغَضْبَتُـــــهُ تَهُـــزُّ الأرْضَ رُعْبـــــاً

وَإعْصَـــــارٌ يَهُبُّ بِهَـــا هُبُـــوبَـــا

وَتَلَتَمِعُ البُطُـــولَـــــةُ فِي نِسَـــــاء

نَسِيـنَ الكحلَ وَالكَـفَّ الخَضِيبَـــــا !

يَقُـــدْنَ طَـــلاَئِعَ الأحْـــرَارِ زَحْفـــاً

وَنَـــارُ البَغْيِ تَخْتَـــرِقُ الجُنُـــوبَـــا

ويَبْكِـي العَمُّ سَـــــامُ عَلَى بَنِينَـــــا

إذَا مَـــا قَـــامَ فِـي النَّـــادِي خَطِيبَـــا !

بِـــدَمْعِ المُـــومِسَـــاتِ يَـــذُبْنَ حُـــزْنَـــاً

وَلاَ يَعْـــرِفْنَ فِي الـــدُّنْيَـــا حَبِيبَـــا !

فَيـــــــاإِلـــــــهِ مِن شَعْـبٍ أبِـيٍّ

نَجِيـبٍ لَـمْ يَلِـــــد إلاَّ نَجِيبَـــــا

يُـــرِيـــدُ الحَـــاقِـــدُونَ غُـــرُوبَ شَمْسِي

وَتَـــابَى شَمْـسُ قَـــوْمِي أنْ تَغِيبَـــا !

إذَا حَجَبَـت أشِعَّتَهَـــــا غُيُـــــومٌ

وَأبْـــدَت خَلْفَهَـــا وَجْهَـــا شَحُـــوبَـــا

تَجَلَّـت بَعْـــــدَ غَيْبَتَهَـــــا وَحَيَّـى

بَنُـــوهَـــا الغُـــرُّ مَطْلَعِهَـــا المَهِيبَـــا

تَبَـــــارَكَ مَـنْ حَمَـى شَمْسِي وَأَبْقَـى
سَنَـــاهَـــا فَـــوْقَهَـــا قَـــدْراً رَتِيبَـــا
بِهَـــا أَبْصَـــرْتُ نَفْسِـــي فَـــاسْتَضَـــاءَتْ
وَفِيهَـــا انسَـــابَ إِحْسَـــاسِـــي نَسِيبَـــا
وَلَـــــوْلاَهَـــــا لَمَـــــا غَنَّى مُغَـن
وَلَمْ نَسْمَـعْ بِـــرَوْضٍ عَنْـــدَلِيبَـــا